قوائم المحتويات متاحة على ASJP المنصة الجزائرية للمجلات العلمية

الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية

الصفحة الرئيسية للمجلة: www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/552

الفرق الكلامية الإسلامية وظاهرة التطرف الديني

Islamic sects and the phenomenon of religious extremism

عبد القادر شارفي [1، *]

[1] جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف -الجزائر-

Key words:

Religious thought

Islamic dogmatic theology

Sects of Islamic theology

Dogma/Doctrine

Religious extremism.

Abstract

When religion becomes a criterion of discrimination and antagonism, it undoubtedly has been employed for non-religious purpose. This is what we see with Islamic sects, so concepts of faith, immorality and infidelity have become used to denote the offender and the opponent in the Islamic circle. It is mainly political concepts that have worn the dress of religion.

Perhaps this position is justified by these teams at the time, that the epistemic stage that was the characteristic of the middle thought where the religious sayings were dominant, instead of the sayings of modern political thought, made these teams see the political dispute as a religious ideological disagreement, which made the opponent adversary in Religion, and then his treatment is with religious limits.

However, the continuation of this thought today among many contemporary religious groups - which is surprising - calls for a review in many categories of modern and contemporary religious thought. For the simple reason that it makes old religious thought an absolute thought that transcends the history that it produced.

معلومات المقال

تاريخ المقال:

الإرسال : 2020-04-25

القبول : 2020-06-05

الكلمات المفتاحية:

الفكر الديني

علم الكلام

الفرق الكلامية

العقيدة

التطرف الديني.

ملخص

نتعرض في هذا المقال إلى ظاهرة التطرف والغلو عند الفرق الكلامية الإسلامية على المستويين النظري والعملي. وقد كان الغرض من ذلك هو إبراز كيف يصبح الدين معيارا وسلاحا للتمييز عندما يوظف في الصراعات السياسية، ليس ذلك فقط مع الخصم الذي شهد له القرآن الكريم بالخصومة (= الكافر)، بل مع الأخ المسلم الذي ينتمي إلى الجماعة الإسلامية بحكم شهادة التوحيد ، والإقرار بالشعائر المنصوص عليها.

ولعل ما يبرر هذه الوضعية لدى هذه الفرق آنذاك، أن المرحلة الابستمية التي كانت خاصية الفكر الوسطي أين كانت المقولات الدينية مهيمنة، بدل مقولات الفكر السياسي الحديثة، جعلت هذه الفرق ترى في الخلاف السياسي على انه خلاف ديني عقائدي، مما جعل الخصم أو المخالف خصيما في الدين، ومن ثمّ فمعاملته تكون بحدود دينية.

غير أن استمرار هذا الفكر اليوم لدى كثير من الجماعات الدينية المعاصرة _ وهو ما يثير العجب _ يدعو إلى المراجعة في كثير من المقولات الفكر الديني الحديث والمعاصر. لسبب بسيط وهو أنها تجعل من الفكر الديني القديم فكرا مطلقا يتعالى على التاريخ الذي أنتجه.

* Corresponding author at: Hassiba benbouali University of chlef – ALGERIA
Email : abdelkadercharfi02@gmail.com

1. مقدمة

التطرف كظاهرة ثقافية بالدرجة الأولى، لازم الإنسان منذ أن بدا يعي وجوده وموقفه من غيره، منطلقا من التجمعات البشرية الصغرى كالقبيلة والعشيرة، ليشمل التجمعات الحضارية الكبرى، ولا يزال مُتجذّرا في كثير من الثقافات إلى يومنا هذا، متخذا صورا مختلفة تعكس جميعها الموقف المتحيز للأنا مقابل الغير. وقد تمثلت صوره بداية في شكل سلوكيات عملية، ما لبثت أن تحولت إلى مواقف فكرية مع تطور ثقافة الإنسان ودرجة تحضره. ويتمثل الموقف الفكري للتطرف في الميل نحو الحد الأقصى للشيء، فكل شيء له حدان يفصلانه عن غيره، بدايته ونهايته، والميل إلى أقصاهما هو تطرف وتفريط، واعتبر الموقف الوسط بين الحدين وسطا واعتدالا، ولذلك كانت العدالة عند أرسطو قائمة في الحد الأوسط لكونه موجودا بين قيمتين متطرفتين.

الفكر الديني الذي هو أحد الصور الثقافية للحضارة الإنسانية، لم يكن شاذا في تركيبته عن ظاهرة التطرف، ولعلّ في المواقف والنزاعات التي انتهت في معظمها إلى حروب دينية لَتقوم شاهدا على ذلك. وتاريخ الإسلام بدوره لم ينأى عن ذلك، فقد تأسس عبر هذا التاريخ فكرٌ ديني انتسب إلى فرق كلامية اهتمت بمسائل العقيدة تنازعت فيما بينها نتيجة مواقفها المتطرفة.

من هنا نتساءل، هل كان ذلك أمرا طبيعيا اقتضته بنية الدين نفسه من خلال نصوصه المقدسة (القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة)، أم لظروف سياسية بالدرجة الأولى أملت أحداثها على المواقف الفكرية والمذهبية في التاريخ الإسلامي؟

للإجابة عن ذلك، اعتمدنا مقاربة تحليلية لأراء الفرق الإسلامية الكلامية الكبرى (الخوارج، الشيعة، المعتزلة، الاشاعرة) كعينة نستدل من خلالها على وجود ظاهرة التطرف والغلو، ومن ثمّ التحقّق فيما إن كان ذلك يعود إلى احد طرفي التساؤل المطروح، آم أن الديني إن هو تعاطى مع الزمني (الوقائع والأحداث)، سينبت التطرف والغلو لا محالة في ذلك.

2. حول عوامل ظهور الفرق الكلامية في الإسلام

في البدء كان الإسلام بسيطا تقبّل المؤمنون عقائده وعملوا بأحكامه دون كثير نظر ولا تنطع ولا جدال، لأن القرآن الكريم كان يخاطب الفطرة بلسان عربي مبين، فسرعان ما كانت الاستجابة. كما أن وجود الرسول ﷺ بين ظهراني المسلمين آنذاك قد غلق باب الجدال والاختلاف، فإذا أشكل عليهم شيء ردوه إلى الرسول، فكانت سنته (قولية أو فعلية أو تقريرية) الموقف الفصل في المسألة.

مع غياب النبي ﷺ والتحاقه بالرفيق الأعلى، بدأ الخلاف يدُبُّ بين صفوف المسلمين شيئا فشيئا، وكان أول ذلك ما عرف بالفتنة الصغرى والمعروفة باجتماع السقيفة نسبة إلى (سقيفة بني ساعدة) حيث نشب جدال بين المهاجرين والأنصار حول من يخلف محمد رسول الله على أمته. وتَمثّل الجدال في أن قال الأنصار الخليفة مِنّا وقال المهاجرون الخليفة مِنّا، وقد كانت حجة الأنصار أننا نحن الذي نصرناه بعد أن طرده قومه، وحجة المهاجرين أننا نحن السباقون إلى الإسلام. وقد حسم عمر بن الخطاب الموقف بأن رشّح أبا بكر للخلافة وبايعه وتبعه المسلمون في ذلك. وقد علّق عمر بن الخطاب على هذه الحادثة بقوله: "ألا إن بيعة أبي بكر كانت بيعته ملتة وقى الله شرها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه ..." (**الشهرستاني**، **د.تا**، **صفحة** 13،ج1).

لم تكن الفتنة الصغرى التي وقى الله المسلمين شرها بالحادث الخطير الذي أثّر على وحدة المسلمين وتماسكهم، فقد مرت خلافة أبا بكر الصديق في أمن وأمان وتمّ في عهده القضاء على دعاة النبوة والمرتدين مما وطّد للإسلام وأصبحت بلاد العرب بمجموعها تدين به، وفي عهد عمر ابن الخطاب تحول النشاط إلى الفتح الإسلامي لبلاد كسرى والروم ومصر وقد توسعت في عهد عثمان بن عفان توسعا كبيرا مما أفاء الله به على المسلمين من الخيرات والمغانم لم تكن لهم في سابق عهدهم. وقد كان من نتيجة ذلك كله أنه "ومنذ النصف الثاني من ولايته ... بدأ عثمان يستسهل اخذ المال من بيت المسلمين والتصرف فيه بمطلق الحرية، بدا تململ الصحابة ومن ورائهم باقي المسلمين في المدينة وكذلك في الأمصار" (**الكبسي**، 2005، **صفحة** 84). هذه الأحداث سببت بداية ما سمي بالفتنة الكبرى. ويصور الباحث محمد علي الكبسي استنادا إلى مصادر تاريخية متنوعة صورة هذه الفتنة كما يلي: " لأول مرة في التاريخ يقتنع المسلمون في الداخل (الصحابة) وفي الخارج (الأمصار) بوجوب إرغام خليفتهم على التنازل، ولأول مرة كذلك تُحرك الأمة في الداخل (المدينة) بقية أعضائها في الخارج (الأمصار) لتحضر قرار العزل. وكذلك لأول مرة في تاريخ تجربة الحكم تشهر الأمة علنا وبحضور الخليفة عينه بإمامها وتكفره أو تتهمه بالخروج عن الدين، ولأول مرة كذلك يقر خليفة بذنبه بالطريقة التي أتاها عثمان ثم يعلن توبته. كذلك لأول مرة في تاريخ دولة الخلافة تخلع الأمصار ولاتها الذين عينهم خليفتها. وأخيرا وليس آخرا لأول مرة تحاصر الأمة إمامها اثنين وعشرين يوما، وتمنع عنه الماء، وإمامة الصلاة، وتطارده بالحجارة. فلا عجب أن يكون أول خليفة تتسابق الأمة إلى قتله أمام زوجاته." (**الكبسي**، 2005، **صفحة** 83،84)

فتنة بهذا الحجم، وبهذه المأساة لا شك أنها ستكون لها ارتدادات عنيفة وأثار تمتد إلى أمد بعيد، وبالفعل فذلك ما حصل، فرغم مبايعة علي بن أبي طالب إلا أن خلافته تأثرت إلى حد بعيد بآثار فتنة الخليفة السابق من الذين طالبوا بالثأر لمقتل عثمان إلى الذين خرجوا عنه في حربه مع معاوية، إلى الذين تشيّعوا له وواصلوا الدعوة إلى بنيه في أن تكون الإمامة فيهم. إن أحداثا كهذه هي ما أفرزت فرقا متصارعة كان السبب في ظهورها

العامل السياسي بالدرجة الأولى.

3. الفرق الإسلامية الكلامية

الفرق جمع فرقة، وهي الطائفة من الناس (**ابن منظور، د.تا، صفحة** 244،ج10)، وفي ذلك إفادة أنها جزء من كل، وهو هنا عموم المسلمين، مما يعني أن جسم الأمة قد تفرّق إلى طوائف مختلفة بعضها عن بعض، وإلا لما كان للتفرق من معنى.

وفي سياق التاريخ السياسي _ الفكري للمجتمع الإسلامي، فإننا نجد حسب ما ذكرته كتب الحديث، وكتب الملل والنحل، وحتى كتب التاريخ، أن عدد الفرق بلغ ثلاثا وسبعين فرقة (**البغدادي**، 1997، **صفحة** 9 **وما بعدها**) في الأصل دون احتساب تفرعاتها. وبالعودة إلى كتب الحديث التي كانت الأصل في هذا التعداد فإنها ترجع ذلك إلى حديث نبوي مشهور، وهو حديث "افتراق الأمة". ومما قيل فيه، انه "لم يشكك احد في حديث افتراق أمته ﷺ إلى ثلاث وسبعين فرقة، وقد ادعى ابن البطريق الإجماع من كافة أهل الإسلام على هذا الخبر عن النبي ﷺ ... وادعى غير واحد تواتر هذا الحديث، مثل السيد نعمة الله الجزائري" (**بن راشد العدوي**، 2009، **صفحة** 31). إلا انه ومن باب الإنصاف نجد هناك أحاديث مرفوعة إلى النبي ﷺ تجعل من الفرق اقل من ذلك. فقد ورد عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: "صنفان من أمتي ليس لهما من الإسلام نصيب المرجئة والقدرية". وعن ابن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ قال: "القدرية مجوس هذه الأمة، إن مَرِضوا فلا تعودوهم وان ماتوا فلا تشهدوهم". وهناك من الأحاديث ما تقتصر على الخوارج بانتا الفرقة المارقة. وبذلك "يبدو أن المحدّثين غير متفقين حول عدد الفرق التي ظهرت بالرغم من كونهم مجمعين على أن ذكرها ورد في عهد النبي ﷺ وعلى لسانه" (**الكبسي**، 2005، **صفحة** 155).

والمقصود بالفرقة هنا ما تعلق بأصول الدين، أي في الجانب العقائدي، وليس الفقهي. حيث لا نجد توجسا أو تجريما للاختلاف المذهبي الفقهي، فهو مقبول ومشروع في حدود ما هو مجمع عليه من الأصول، أما الفروع فقد كانت تتسم بالتشدد بين هذا المذهب وذاك أحيانا كثيرة. أما الاختلاف العقائدي فهو المرفوض باعتباره بدعة وضلالة. ولذلك وصف أصحابه بأهل الأهواء. يقول عبد القاهر البغدادي: "وقد علم كل ذي عقل من أصحاب المقالات المنسوبة إلى الإسلام أن النبي ﷺ لم يرد بالفرق ... فرق الفقهاء الذين اختلفوا في فروع الفقه مع اتفاقهم على أصول الدين ... وإنما فصل النبي ﷺ بذكر الفرق ... فرق أصحاب الأهواء الضالة الذين خالفوا الفرقة الناجية ... فصح تأويل الحديث المروي في افتراق الأمة ثلاثا وسبعين فرقة إلى هذا النوع من الاختلاف دون الأنواع التي اختلفت فيها أئمة الفقه من فروع الأحكام" (**البغدادي**، 1997، **صفحة** 14_15).

وقد كان لهذا الحديث الأثر الكبير في إثارة الخلاف والنزاع بين الفرق، وربما كان السبب الرئيس في وسم المخالف بالضال أو المبتدع، وان فرقته هي الفرقة الناجية. وقد كان "كتاب كل فرقة يختمون الحديث بالرواية التي تناسبهم "فجعلها أهل السنة: المتمسكون بسنتي، أو ما أنا عليه وأصحابي. وجعلها الشيعة: شيعة أهل بيتي. وجعلها المعتزلة: فرقة المعتزلة. وهكذا، مما ضعف الحديث حتى لو افترض صحته" (**صبحي، في علم الكلام**، 1985، **صفحة** 36ج1). ويذهب عبد الرحمن بدوي إلى التشكيك في صحة هذا الحديث انطلاقا من اعتبارات معينة، أهمها الاعتبار العقلاني، حيث يقول: "قد ظهر التعسف البالغ لدى مؤرخي الفرق في وضعهم فروقا وأصنافا داخل التيارات الرئيسية حتى يستطيعوا الوصول إلى 73؛ وفاتهم أن افتراق المسلمين لم ينته عند عصرهم، وانه لا بد ستنشأ فرق جديدة باستمرار، مما يجعل حصرهم هذا خطأ تماما، إذ لا يحسب حسابا لما سينشأ من بعد ذلك من فرق إسلامية جديدة" (**بدوي**، 1997، **صفحة** 34).

الاستناد إلى هذا الحديث، باعتباره نصا شرعيا، هو محاولة من هذه الفرق المتنازعة إضفاء الشرعية الدينية على مواقفها، ومن ثم تبرير مواقفها النظرية والعملية تجاه مخالفيها.، وهو سلوك يبعث لدى كل فرقة الاطمئنان والاعتقاد الجازم بأنها على صواب وغيرها على خطأ، الأمر الذي يجعل منطق الاختلاف يغيب عن ساحة هؤلاء، ويسود المنطق الثنائي للحقيقة القائم على قطبين اثنين (الصواب والخطأ) ولا وجود لنسبة ثالثة بينهما. ومنطق كهذا لا بد وان يؤدي إلى التطرف المفضي بدوره إلى الخلاف والتنازع والتسلط. وللوقوف على حقيقة ذلك نستعرض أهم الفرق الكلامية الإسلامية، وهي:

1.3. الخوارج

لا يسعنا في هذا المقال التعرض إلى تاريخ الخوارج، وإنما نكتفي بعرض أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور هذه الفرقة والآراء الكلامية العقائدية التي تميزت بها، وانعكاس ذلك كله على موقفها من يخالفها في أرائها ومواقفها.

يعود السبب الرئيس لظهور الخوارج إلى حادثة التحكيم، وهي كما يوردها الشهرستاني: " أن الخوارج حملوه _ يقصد علي بن أبي طالب في معركة صفين _ على التحكيم أولا، وكان يريد أن يبعث عبد الله بن عباس، فما رضي الخوارج بذلك، وقالوا: هو منك، فحملوه على بعث أبي موسى الأشعري، على أن يحكما بكتاب الله تعالى، فجرى الأمر على خلاف ما رضي به، فلما لم يرض بذلك خرجت الخوارج عليه، وقالوا: لمَ حَكّمتَ الرجال، لا حكم إلا لله، وهم المارقة الذين اجتمعوا بالنهروان". (**الشهرستاني، د.تا، صفحة** 106_107 ج1) وبها سموا الخوارج وهو الاسم الغالب والمشهور عنهم، وإذا كانت هذه التسمية قد أطلقها عليهم مخالفيهم، فإنها تعني عندهم الخروج عن الظالم أو الإمام الجائر. "وقد سموا أنفسهم بالشراة، وهو أحب الأسماء إليهم، لقولهم إنا شرينا أنفسنا في الله ، أي بعناها بثواب الله والجنة، أخذا من قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي

نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾[البقرة، آ: 207] ومن قوله سبحانه ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ التوبة، آ: 111]" (**سليم العوّا**، 2016، **صفحة** 53) وكان من نتائج الخروج أن حوّلوا المعارضة السياسية إلى موقف فكري عقائدي تمثل في اتهامهم عَلياً بأنه حَكّم الرجال بدل أن يُحكّم كتاب الله، ورفعوا شعار "لا حكم إلا لله" "الذي سيصبح اعتبارا من تلك اللحظة وعلى امتداد قرون الشعار الأساسي للخوارج والقاعدة التي ستقوم عليها عقيدتهم" (البكاي، 2001، صفحة 28) ودلالة هذا الشعار حسب ما يتفق عليه جل الباحثين بأنه "يعبر عن رفض هذه المجموعة للتحكيم باعتباره من مشمولات، أي اختصاصات الله وحده لا دخل للبشر فيه، ويتفق هذا التفسير مع المدلول اللغوي لكلمة "حكم" في تلك الفترة التي تعني: القضاء وفصل النزاع، مع ما ذكره القراء أثناء النقاش الذي دار بينهم وبين عليّ أو بينهم وبين ابن عباس بعد صفين. فقد ذكروا أن التحكيم لا يكون إلا في ما جعل الله حكمه للناس وأمرهم بالنظر فيه، أما ما صدر فيه حكم واضح فليس للعباد أن ينظروا فيه مثل حكمه في الزاني والسارق وكذلك في هذه القضية. لذلك اخطأ عليّ عند قبوله التحكيم لان الله عز وجل قد أمضى حكمه في معاوية وحزبه أن يُقتلوا أو يرجعوا منذ أن نزلت "براءة" التي قطع فيها الاستفاضة والموادعة بين المسلمين وأهل الحرب إلا من اقرّ بالجزية" (**البكاي**، 2001، **صفحة** 28)

إن تسارع الأحداث التي توالت على مسار الخوارج جعلتهم يُعمّمون حكم شعار " لا حكم إلا لله"، ويعيدون على ضوئه إعادة قراءة التاريخ السياسي الإسلامي منذ تولي أبا بكر الصديق الخلافة، ويتفقون على أن أبا بكر وعمر كانا على الطريقة الصحيحة ولا يُطعن فيهما، أما عثمان فسيرته الأولى كانت موافقة لسيرة صاحبيه أبا بكر وعمر، ثم نكث فكان مقتله نتيجة مخالفته حكم الله، وعليّ بدوره خالف حكم الله. ولذلك "يجمعهم القول بالتبري من عثمان وعليّ ويقدمون ذلك على كل طاعة" (**الشهرستاني، د.تا، صفحة** 107، ج1)

مرتكب الكبيرة

أهم مسالة عقائدية تميز بها الخوارج هي موقفهم من مرتكب الكبيرة، وهي مسالة ذات صلة بمعارضتهم السياسية، بل إنها نتيجة لها، فقد عدّوا مخالفيهم مرتكبي كبائر، وحكمه انه كافر، وان اختلفوا في درجة كفره، إلا أنهم يتفقون على انه مخلد في النار إن لم يتب. فالإيمان عندهم لا يتجزأ، والكبيرة تنافي الإيمان فصاحبها يُكفر. "ويحتجون لذلك بأنه ليس في القرآن إلا مؤمن وكافر، وتأولوا في ذلك قول اللهِ تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران، آ: 97] وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [آل عمران، آ: 106]، وبقوله تعالى: ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾ [عبس، آ: 40_ 42] وقد ردّ العلماء على هذا الاستدلال بأن الكفر بالحج هو إنكاره وجحده وليس عدم أدائه، أو هو كفر النعمة، الذي لا يخرج من الملة، لمن تكاسل عنه، وهو قادر على أدائه حتى مات. وبأن الآيات من سورتي آل عمران وعبس ليست في المؤمنين، ولو كانوا عاصين، وإنما هي في الكافرين، منكري النبوات، الجاحدين للرسالات، المكذبين بالكتب. ولو كان كلام الخوارج صحيحا ما صلى رسول الله ﷺ على العصاة، ولا أمر أصحابه بالصلاة عليهم، ولا أجاز نكاحهم، ولا أعطاهم نصيبهم من الغنائم. وهي ردود سديدة متفقة مع نصوص الكتاب والسنة" (**سليم العوّا**، 2016، **صفحة** 56)

وتنتهي هذه العقيدة بأن أصبح الخوارج ضد الجميع، وإن اختلفوا فيما بينهم في الدرجة فقط، أما من حيث حكم التكفير الذي يستوجب القتل فهو عام فيهم، وقد كان اشد الفرق تطرفا فيهم الازارقة أصحاب أبي راشد نافع بن الأزرق، واقلهم درجة النجدات أصحاب نجدة بن عامر الحنفي. وبذلك اعتبر عمار طالبي في كتابه "أراء الخوارج"، أن الخوارج "أول فرقة إسلامية فكرية، أو مدرسة فكرية، زعمت أنها وحدها على الحق ومن سواها على الضلال" (**سليم العوّا**، 2016، **صفحة** 53)

2.3. الشيعة

"الشيعة هم الذين شايعوا عليا عليه السلام على الخصوص، وقالوا بإمامته نصا، ووصية، إما جليا أو خفيا، واعتقدوا آن الإمامة لا تخرج من أولاده، وان خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده، قالوا وليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة، وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية. هو ركن الدين لا يجوز للرسول عليه السلام إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص، وثبوت عصمة الأئمة وجوبا عن الكبائر والصغائر والقول بالتولي، والتبري قولا وفعلا وعقدا، لا في حال التقية، ويخلفهم بعض الزيدية في ذلك، ولهم في تعدية الإمامة كلام وخلاف كثير، وعند كل تعدية وتوقف مقالة، ومذهب وخبط، وهم خمس فرق، كيسانية، وامامية، وغلاة وإسماعيلية، وبعضهم يميل في الأصول إلى الاعتزال، وبعضهم إلى السنة، وبعضهم إلى التشبيه" (**الشهرستاني، د.تا، صفحة** 144،145)

هذه أهم معالم الشيعة كما يوردها الشهرستاني، وهو ما تجمع عليه المصادر بخصوص الشيعة. "فعقيدة الإمام حجر الزاوية في المذهب الشيعي، بل إن كثيرا من المعتقدات الشيعية الأخرى كالعصمة والرجعة والبداء والتقية تدور حول الإمامة، فهي جوهر العقيدة وأساس المذهب" (**صبحي، نظرية الامامة لدى الشيعة الاثى عشرية، د.تا، صفحة** 28). وهم بذلك يختلفون عن أهل السنة، والخوارج بالخصوص في مسالة الإمامة أو الخلافة الذين جعلوا منها أمرا اختياريا متروك لعامة المسلمين.

مسالة الإمامة، التي هي حجر الزاوية في المذهب الشيعي كله، تجعل منهم فرقة سياسية بامتياز _ وجميع الفرق الإسلامية

هي كذلك وان اختلفت في الوضوح _ وهو ما جعل الشيعة على مر تاريخهم يناوؤون السلطة الحاكمة باعتبارها خارجة عن الأصل الواجب التقيد به، وان حكمها ظالم لا يجب الاعتراف به. وقد ثار الشيعة وفقا لذلك ضدّ السلطة الأموية ثم العباسية، إما بقوة السلاح أو بالمعارضة السرية التي اعتمدت التُّقية (**احمد، د.تا، صفحة** 247،ج3) كسلاح في ذلك.

ويذكر محمود صبحي أن التشيع مرّ بأربعة ادوار، " فهو في دوره الأول جماعة التفوا حول علي لأنهم اقرب شبها به في إيمانه وسيرته فتجاوبوا معه وفضلوه على غيره، ثم هو في الدور الثاني جماعة لا تنقصها الكثرة ولكن يعوزها الإخلاص وذلك في خلافة علي، ثم مرت حالة سكون في خلافة معاوية أعقبها اتجاه عقائدي وانشقاق تام عن التفكير الإسلامي العام بعد مقتل الحسين، ثم كان التشيع في دوره النهائي حيث برزت معالم المذهب وأصوله واتضحت آراؤه الكلامية على يد الصادق أو تلاميذه من المتكلمين" (**صبحي، نظرية الامامة لدى الشيعة الاثى عشرية، د.تا، صفحة** 52)

ويعتبر الدور الثالث دورا حاسما في تاريخ التشيع، بل إن الكثير من الدارسين له يربطون ميلاد التشيع كحركة انشقاقية ومنظمة عقائديا وفكريا إلى فاجعة كربلاء التي قتل فيها الحسين بن علي. وترجع أهمية هذه " الحادثة إلى أن التشيع كان قبل مقتله مجرد رأي سياسي لم يصل إلى قلوب الشيعة، فلما قتل الحسين امتزج التشيع بدمائهم وتغلغل في أعماق قلوبهم وأصبح عقيدة راسخة في نفوسهم" (**صبحي، نظرية الامامة لدى الشيعة الاثى عشرية، د.تا، صفحة** 47)

لقد غلب على الشيعة بعد هذه الفاجعة الشعور بالإثم الذي يستوجب التوبة، وظهرت حركة التوابين، (وهي حركة شيعية أخذت على عاتقها الثار لمقتل الإمام الحسين بن علي) (**هاينس**، 2011) كدليل على ذلك، إما ثأرا من أنفسهم على كونهم خذلوا الحسين بن علي في كربلاء ولم ينصروه، أو بالثأر من أعدائه بكافة الطرق. ولما كانت مقاومة العدو الذي هو الدولة الأموية أو العباسية بقوة السلاح، فان الشيعة نهجوا منهج الدعوة السرية معتمدين على مبدأ التقية في مناهضة الخصم، إضافة إلى قوة الفكر في التأصيل لعقيدتهم والتي تمت مع الإمام جعفر الصادق وتلامذته.

يظهر تطرف هذه الفرقة، بعد فاجعة كربلاء أين أصبح الشيعة منشقين عن التيار الإسلامي العام، عقائديا وفكريا جاعلين من أنفسهم الفرقة الناجية وغيرها على ظلال. وقد امتد هذا الانشقاق حتى إلى مسائل الفقه والحديث، فهم لا يأخذون في ذلك إلا عن أئمتهم، فكان لهم فقههم الخاص، وأسانيدهم الخاصة في الحديث.

وباعتبار مسألة الإمام حجر الزاوية في مذهبهم، فان كل مسائل الدين عقيدة وتشريعا نابعة عنه، والإيمان بذلك واجب، بل هو من أركانه، فهو نائب عن الرسول متمما لرسالته، يقول احمد أمين: "أنهم يسبغون على الإمام نوعا من التقديس، فهو يتلقى علمه من الله عن طريق الوحي، ويُعدُّه الله إعدادا خاصا من حين أن يكون نطفة، ويحفظه برعايته السامية، ويعصمه من الذنوب، ويورثه علم الأنبياء و المرسلين، ويطلعه على كل ما كان وما سيكون. وكان النبي ﷺ يعلّم علمه الناس، وعلما آثر به علياً، وعليّ آثر به وصيّه، وهكذا إلى المهدي الثاني عشر. والإمام ظل الله في أرضه، ونور الله في أرضه، والوسيلة الوحيدة لمعرفة الحق والباطل الخ، والاعتقاد بذلك جزء من الإيمان، كالإيمان بالله ورسوله لا تنفع أعمال الإنسان إلا به بل إن عصيان المؤمن قد يخففه أو يمحوه الإيمان بالإمام." (**احمد، د.تا، صفحة** 220،ج3)

إن هذا التصور الذي انبنت عليه عقائد الشيعة جعل كل مخالف له في زمرة الكافرين والخارجين عن الدين حتى ممن يشهدون شهادة الإسلام ويقومون بواجباته. جاء في الكافي للكليني قال أبو جعفر: " كل من دان الله بعبادة يجهد فيها نفسه ولا إمام له من الله فسعيه غير مقبول، وهو ضال متحير، والله شانئ لأعماله" وقال أيضا: "قال الله تبارك وتعالى: لأعذبن كل رعية في الإسلام دانت بولاية كل إمام جائر ليس من الله، وان كانت الرعية في أعمالها برة تقية، ولأعفون عن كل رعية في الإسلام دانت كل إمام عادل من الله، وان كانت الرعية في أنفسها ظالمة مسيئة" (**احمد، د.تا، صفحة** 218_219 ج3) والمقصود بالإمام العادل هو الإمام المنصوص عنه من أهل البيت وليس من عامة المسلمين.

لا شك أن أسباب هذا التطرف العقائدي والفكري قد غذته محنهم التي عايشوها مع خصومهم الأمويين ثم العباسيين الذين كانوا اشد تنكيلا بهم لمعرفتهم بأساليب دعوتهم وخططهم، حيث كانوا لهم عونا في إسقاط الدولة الأموية، فهو ليس نابعا عن عاطفة حب الرسول وآهل بيته فقط، فذاك ارث مشترك بين جميع المسلمين، لكن أحداث السياسة وشهوة الحكم من شانها أن تُحول العواطف إلى صراع دامي بين أطراف النزاع. وذاك هو شأن فرقة الشيعة، التي وان تمكن أنصارها من إقامة أول دولة لهم ببلاد المغرب فإنهم عاملوا أهل السنة بالقوة والتضييق وإجبارهم على اعتناق مذهبهم، وكتب التاريخ حافلة بروايات تلك المعاملة لغيرهم من الفرق الأخرى.

3.3. **المعتزلة**

المعتزلة فرقة كلامية سنية نشأت نتيجة مجادلات كلامية في حِلَق الدروس المسجدية التي كان يعقدها التابعي الحسن البصري ومن بين المسائل التي أدت إلى اعتزال واصل بن عطاء حلقة الحسن البصري مسألة مرتكب الكبيرة التي اختلف فيها مع أستاذه الحسن، واتخذ لنفسه عمودا في المسجد وحلقة خاصة به. فقال عنه الحسن: اعتزلنا واصل. ومنها كانت التسمية. وان كان البعض يعود بنشأتها إلى الجماعة التي اعتزلت الصراع بين علي وخصومه أيام الفتنة الكبرى.

وتقوم مبادئ المعتزلة العقائدية على خمسة أصول، وهي: القول بالتوحيد، القول بالعدل، القول بالوعد والوعيد، القول بالمنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال الخياط (احد زعماء المعتزلة في القرن الثالث): "وليس يستحق احد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" (**احمد، د.تا، صفحة** 22، ج3)

هذه المبادئ هي المحدّد للفرقة، وكل من خرج عن ذلك فليس منهم. غير أن هذه المبادئ عدا _ المبدأ الثالث المتميز _ يظهر منها اشتراكها بين جميع المسلمين لكونها أصولا دلَّ عليها النص القرآني. إلا أن مفهوم المعتزلة لهذه الأصول يكشف عن وجه الاختلاف فيما بينهم وبين غيرهم. فهم في أصل التوحيد يقولون بالتنزيه المطلق إلى درجة أن وصفهم مخالفيهم بالمعطِّلة. وفي أصل العدل يثبتون الأفعال للإنسان خيرها وشرها وينفون الجبر مطلقا لأنه مخالف لجوهر العدل في الجزاء. وفي الأصل الثالث فهو متعلق بمسالة اسم الحكم على مرتكب الكبيرة وهم في ذلك يخالفون كل من الخوارج الذين قالوا بكفره وانه مخلد في النار، وقول المرجئة الذين ارجأوا الحكم لله واعتبار صاحبها مؤمنا. أما الوعد والوعيد فمتعلق بنفاذ وعد الله للمؤمنين والكافرين يوم الحساب وله علاقة بأصل العدل. أما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فمن الوسائل التي بها إلزام الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر وهو الشيء الذي يتطلب سلطانا حارسا للدين قائما على تنفيذ واجباته وأوامره.

مفهوم المعتزلة لهذه الأصول هي خلاف ما نجده عند غيرهم من الفرق الكلامية الأخرى، وهو ما جعل المعتزلة يجتهدون في صوغ الحجج وترتيبها على أساس عقلاني منطقي دفاعا عن تصوراتهم، حتى عُدّوا بحق أهل الكلام.

لقد عدّ المعتزلة من بين الفرق التي نشأت نتيجة الجدال الكلامي حول مسائل العقيدة، ولم تكن بذات علاقة بينة بالسياسة وأحداثها، غير أن ذلك لم يتبلور إلا بعد أن رتبت مسائل علم الكلام وانتظمت طرقه المنهجية، أي بعد أن تحول من أقوال في المسائل إلى نظريات. ومع ذلك فإن المعتزلة لم تنقطع صلتهم بالسياسة، ولا من أن تكون لنظرياتهم الكلامية أبعادا سياسية. إن شانهم شان كل الفرق الأخرى "فهل تعرف الخوارج أو الشيعة أو السنة أو المعتزلة أو المرجئة خارج الأحداث السياسية التي عاشتها، فصنعوها وصنعتهم؟ وهل كانت شخصياتها تملك حضورا _ علنيا أو سريا _ خارج الحضور _ علني أو سري _ السياسي؟ وهل كانت اجتهاداتها وتنظيراتها _أدبا أو كلاما أو فقها أو تصوفا أو تفسيرا_ تولد خارج معاركهم السياسية وخارج خصومهم السياسيين؟" (**الكبسي**، 2005، **صفحة** 160) وهذا ما يجعل المعرفة في الثقافة العربية الإسلامية سلطة تسعى للاستحواذ وفرض رأيها، وذلك بسعيها الدائم لان تكون أداة في خدمة السلطة السياسية، جاعلة من نفسها إيديولوجية لها، وهذا الارتباط جعل من المعرفة في هذه الثقافة لا تطلب لأغراض علمية بحته، وإنما لتمكين هذا الطرف أو ذاك من السلطة السياسية لتعميم إيديولوجيتها. كما إن السلطة السياسية في التاريخ العربي الإسلامي لم تكن لتنجح ألا وفق إيديولوجية معرفية تمكنها من ذلك. فهناك تحالف بين السلطتين (السياسية والمعرفية). فعقيدة الجبر مثلت ايديولجية السلطة الأموية، ولما كان العباسيون مخالفين للسلطة الأموية ولإيديولوجيتها، فانه بلا شك يبحثون عن بديلا مناقض لذلك، وهو الاعتزال الذي تبنته هذه السلطة لمدة طويلة كسلاح ضد خصومها. وتعتبر حادثة بمحنة " خلق القرآن "مثالا حيا على ذلك التوظيف السياسي زمن المأمون والمعتصم والواثق خلفاء بني العباس.

مسالة "خلق القرآن" من المسائل الفرعية في الكلام الاعتزالي، وهي مرتبطة بصفة الذات الإلهية وهي "الكلام الإلهي" و "موقف المعتزلة من مشكلة "كلام الله" أو "خلق القرآن" فرع من تصورهم للتوحيد، ذلك إن إنكار الاعتقاد بخلق القرآن يعني إثبات قدمه، وكل ما هو قديم فهو إله. فانفراد الله بالألوهية يقتضي انفراده بالقدم والقول بحدوث القرآن آو خلقه" (**صبحي، في علم الكلام**، 1985، **صفحة** 132، ج1). وقد كان السبب المباشر والمعلن لهذا الاعتقاد هو محاولة للرد على علماء الكلام المسيحيين في قولهم بان عيسى هو كلمة الله التي ألقاها إلى مريم وهو بذلك يتصف بالقدم.

إن تبني المأمون الخليفة العباسي لهذه العقيدة ومحاولته فرضها عنوة على المعارضين من الفقهاء وأهل الحديث (أهل السنة) وامتحانهم فيها يرجع ليس فقط إلى المبرر الكلامي، كونها مسالة لا تتعدى مسائل التشبيه والتجسيم التي حاربها المعتزلة، وإنما "هناك ظاهر ومخفي، منطوق ومسكوت عنه في هذه القضية. أما الظاهر والمنطوق به فهو الأسئلة والأجوبة حول "خلق القرآن" أما المخفي والمسكوت عنه فهو "الشغب" على الخليفة ومحاولة "الخروج عليه" والثورة ضده، وانتزاع السلطة منه... تلك هي الدوافع الحقيقية الخفية التي تثوي وراء ما قام به المأمون والمعتصم والواثق من امتحان الناس عامة ورجال الدولة والفقهاء والقضاة خاصة" (**الجابري، المثقفون في الحضارة العربية، محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد**، 2000، **صفحة** 85)

نعم ذاك ما تؤكده المصادر التاريخية من أن العامة كانت تحت سيطرة آهل الحديث والفقهاء المحسوبين عليهم من القضاة، وقد تشكلت هذه السلطة في الوقت الذي كان المأمون متخليا عن بغداد بعد أن سقطت في يده، ولم يدخلها وإنما تركها للفوضى العارمة، فتأهب المطوعة تحت إمرة العلماء من أهل السنة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وأصبحت طاعتهم لهؤلاء اشد من طاعتهم لأمير المؤمنين الخليفة العباسي. وقد كانت محنة "خلق القرآن" هي المبرر الأقوى للحد من سلطة العلماء المناوئين لهذا الاعتقاد. ولم يكن فرض هذه العقيدة وامتحان العلماء من أهل السنة فيها تبعا للغطاء السياسي،

وإنما ذاك كان مخفيا، بل تم فرضه كقناعة علمية أساسها شيوخ الاعتزال الذين كانوا من حاشية المأمون ورجال الدولة، وأهمهم القاضي ابن دؤاد (**الجابري، المثقفون في الحضارة العربية، محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد**، 2000، **صفحة** 93 **وما بعدها**).

ارتبطت المحنة بأحمد بن حنبل الفقيه السني، الذي تشبث بموقفه الرافض لعقيدة "خلق القرآن"، ففي المناظرة التي تمت بينه وبين خصومه في مجلس المعتصم، يسأله احدهم "ما تقول في القرآن؟ "فيرفض احمد أن يقول "مخلوق" ويدلي المناظرون له بحججهم التي تؤيد القول بـ "خلق القرآن" فيصر احمد على قوله: "أعطوني شيئا من كتاب الله أو سنة رسوله" فيه القول بـ "خلق القرآن".

تشبَّثَ احمد بن حنبل بموقفه رغم إعادة المناظرة في اليوم الثاني والثالث، ولما ضجر منه المعتصم آمر بضربه وجلده وسحبه ثم ترك لحاله تحت إقامة جبرية. " وقد لبث في السجن منذ أن أُخِذ وحُمل إلى أن ضرب وخلي عنه، ثمانية وعشرين شهرا" (**الجابري، المثقفون في الحضارة العربية، محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد**، 2000، **صفحة** 82) رغم ما تميزت به المعتزلة من عقلانية في الدفاع عن عقيدة التوحيد، وما يتضمن ذلك من إشادة بدور العقل كمرشد وهاد يعكس مدى إيمان هذه الفرقة بحرية الإنسان في التفكير وانه محور الأمر الإلهي، وانه يملك القدرة على الفعل أو الترك لتتأسس من ثمّ مسؤوليته عن أفعاله. إلا أن هذه القيم الإنسانية في الفكر الإسلامي سرعان ما تتحطم أمام استغلال السياسة لها، فقد كان يطمح شيوخ المعتزلة أن "يصبح الاعتزال مذهب الدولة الرسمي، كما أن الإسلام دينها الرسمي، فإذا تمَّ ذلك انتشر الاعتزال تحت حماية الدولة، وأصبح أكثر المسلمين معتزلة" (**احمد، د.تا، صفحة** 197،ج3) ويظهر استغلال السياسة لهذه الطموحات غير المشروعة عند الآخر من خلال وسائل الدولة في فرضها، فقد كانت نتائج المحنة أن "كره الناس الاعتزال لان الحكومة احتضنته، ولان المعتزلة أيام دولتهم عسفوا بالناس وبالمحدثين والعلماء، واستباحوا دماءهم، وملأوا منهم السجون" (**احمد، د.تا، صفحة** 197،ج3)

4.3. الاشاعرة

الاشاعرة هم أتباع أبي الحسن الأشعري(260هـ/324هـ) مؤسس فرقة الاشعرية في العقيدة، وقد أخذت هذه التسمية نسبة إلى مؤسسها.كان الأشعري على مذهب المعتزلة ، ولكنه ثار ضدهم " لينشئ مذهبا "وسطا" يريد إقامة "التوازن" بين الطرفين: بين التنزيه الذي يقتضيه "العقل" لمواجهة الإثنيين والقائلين بالتثليث والمجسمة بمختلف أصنافها، وبين كثير من آيات القرآن التي لا يستقيم إيمان الجمهور ولا تتوطد العقيدة في نفوسهم إلا بأخذها على ظاهرها، من جهة، وبين حرية الله وقدرته المطلقتين وبين درجة ما من الحرية والقدرة لا بد من نسبتها للإنسان لجعله "يكسب" أعماله ويتحمل مسئوليتها، من جهة أخرى. إنها فكرة "الكسب" التي جعلها أبو الحسن الأشعري بديلا لحرية الإرادة و "خلق الأفعال" (**الجابري، الكشف عن مناهج الادلة في عقائد الملة**، 1998، **صفحة** 26).

ذلك هو المشروع الفكري العقائدي الذي حمله الأشعري، ونافح عنه أتباعه من علماء الاشعرية مستخدمين في ذلك كل طرق الجدل المتاحة، إلى درجة أن اختلط الكلام الأشعري بالمباحث الفلسفية كما هو عند المتأخرين أمثال فخر الدين الرازي. وهو مشروع حاول أن يحُد من غلو المعتزلة في مسالة التنزيه (التوحيد)، وغلوهم في التعطيل أين ارجعوا الأفعال إلى الإنسان باعتباره خالقا لها بناء على مسؤوليته له، نافين عن الله كل تدخل في الإرادة الإنسانية. وقد كان لهذا التوازن أثره في الوسط السني، حيث تم قبول الاشعرية كممثل لأهل السنة والجماعة، وأنهم الخلف لأهل السلف.

لم يكن شأن الاشعرية مخالفا لشأن المعتزلة، إذ عندما تتحول الأفكار إلى إيديولوجيا في يد السلطة تتحول إلى سلاح ضد الخصم، وقد رأينا ذلك مع المعتزلة عندما تبنت السلطة العباسية القول بعقيدة "خلق القرآن". ولكن عندما دالت السلطة إلى خلفاء خالفوا المعتزلة في هذا المعتقد، أصبح القول بالاعتزال من المنكرات التي يجب محاربتها، وإنها من الفرق الضالة. وهو ما حصل مع الاشعرية عندما تبنت الدولة المذهب الأشعري كمذهب رسمي على يد الخليفة القادر، ولم يسمح للمخالفين بطرح أفكارهم وتداولها، بل تمّ إنكارها والتضييق عليهم. "فقد اصدر الخليفة القادر كتابا ضد المعتزلة فأمرهم بترك الكلام والتدريس والمناظرة في الاعتزال والمقالات المخالفة للإسلام، وانذرهم _ إن خالفوا أمره _ بحلول النكال والعقوبة. وامتثل السلطان محمود في غزنة أمر أمير المؤمنين واستن بسنته في قتل المخالفين ونفيهم وحبسهم وأمر بلعنهم على المنابر. وصار ذلك سنة في الإسلام" (**الجابري، الكشف عن مناهج الادلة في عقائد الملة**، 1998، **صفحة** 29)

لم يكن هذا الموقف خيارا للسلطة تجاه خصومها، وإنما كان ذلك موقفا فرضته طبيعة التوازنات والقوى التي المتحكمة في الشأن العام خاصة الديني منه. فقد مالت الكفة مع الخليفة المتوكل لأهل السنة والحديث، والمعتزلة في نظر هؤلاء خصم، بل عدوٌ يجب استئصاله، ومن هنا كانت أهمية الاشعرية كفرقة تحمل معتقدات أهل السنة (عقيدة السلف) لتتولى الدفاع عنها بأسلوب ومنهج الكلام الاعتزالي.

لقد تبنت الاشعرية مسبقا موقف الرفض للمعتزلة، وهو رفض يقوم على مفاهيم دينية تجعل من الخصم فاسقا أو كافرا، ترفض جميع معتقداته. فقد ذكرت المصادر الاشعرية بأن الأشعري الذي كان معتزليا في أول حياته، قرّر الخروج عن مذهب المعتزلة، وقد قال حينذاك وهو على المنبر : " اشهدوا عليّ أني كنت على غير دين الإسلام واني قد أسلمت الساعة واني تائب مما كنت فيه من القول بالاعتزال" (**الجابري، الكشف عن**

مناهج الادلة في عقائد الملة، 1998، **صفحة** 25). ويتوالى هذا الاعتقاد ويتسع ليشمل كل الفرق الأخرى عند شيوخ الاشاعرة ليتقرر بصورة جلية عند عبد القاهر البغدادي في كتابه "أصول الدين" و "الفرق بين الفرق والفرقة الناجية منهم" ففي كتابه الأخير هذا، بعد أن يستهله بحديث الفرقة الناجية يستعرض مجمل الفرق الموجودة في عصره ليبدع ويفسق ويكفر بأحكام جاهزة وفق تصور الاشعرية في العقيدة، لتكون الفرقة الناجية هي الاشعرية اعتقادا منها أنها تمثل الامتداد السلفي الذين كان عليه رسول الله وأصحابه.

4. خاتمة

تلك صور لنماذج من الفرق الإسلامية الكبرى التي شهدها تاريخنا العربي الإسلامي، وقد اقتصرنا فيها على الجانب العقائدي القائم على الاختلاف في الأصول ، دون الولوج إلى المذاهب الفقهية التي كان الخلاف بينها في الفروع، ولم يترتب عنها ما ترتب عن الاختلاف العقائدي. فالخلاف على مستوى القضايا العقائدية انجر عنه اتهام المخالف بالفسق والكفر، وذاك ما سينجر عنه من عواقب عملية غير حميدة تمس بممتلكات المخالف وعرضه وحتى حياته.

وكما تبين لنا، فان الخلفية الأساسية لهذا التطرف النظري والعملي لدى الفرق الكلامية، إنما كان سياسيا وتغذى باستمرار بالمواقف السياسية إما من جانب السلطة الحاكمة، أو المعارضة. وتوظيفها للمفاهيم الدينية من مؤمن وكافر وفاسق وضال، وغيرها، في صراعها السياسي هو ما كانت تسمح به ابستيمية العصر أين كان الفكر الديني طاغيا، مع غياب شبه كلي للمفاهيم السياسية التي كانت متداولة على الأقل في علوم الأوائل (الفلسفة اليونانية)، وحتى عند الفلاسفة المسلمين. ولكن هذه المفاهيم لم تكن مقبولة في فكر الفرق الدينية لا سباب كثيرة لا مجال لذكرها هنا.

كما أن توظيف حديث "الفرقة الناجية" مَكّن من ترسيخ عقيدة دوغمائية غير قابلة للتنازل ولا حتى المراجعة للمواقف، فهناك حق وباطل لا غير، الشيء الذي يجعل راهنية أي حدث سياسي تتميز بالاطلاقية رغم نسبيتها. ومن ثم فلا مجال هناك لمفاهيم التسامح والاختلاف التي تنبني عليها ثقافة السلم والتعايش.

إذا كان تراثنا الديني في هذا الجانب، قد تميز بمظاهر التطرف والغلو، نظرا للأسباب التي ذكرناها، فإننا نلاحظ أن هذا التراث لا يزال مستمرا في ثقافتنا اليوم، "فكم تقترب الأحزاب التي سمت نفسها بأحزاب الله اليوم من تلك التسمية أو ذاك المفهوم، يشتد الإكراه ويبلغ الزبى عندما تصبح تلك العقيدة سلطة سياسية بيدها الراية والسيف وأسباب المعاش، أو عندما تتحول تلك العقيدة الدينية أو المذهبية إلى حزب سياسي يقارع من اجل تطبيق الحاكمية" (**الخيون**، 2016، **صفحة** 6).

ثمرة التطرف والغلو باسم الدين، يحول القوة إلى قانون مشروع، يصبح معه إسكات الخصم أو إزالته واجبا دينيا يُجزى عليه، والتراخي عنه إثم يعاقب عليه.

لقد كانت رسالة السماء رسالة للتآخي بين جميع الناس، رغم الاختلاف في الجنس والعقيدة ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات، آ: 13]، لنتعلم من ذلك أن التسامح والتعايش يكون بقبول الآخر، وليس السعي لإرغامه أن يكون موافقا لنا. ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾[يونس، آ: 99]

إن الاختلاف محمود، وهو سنة الله في خلقه ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ [هود، آ: 118] وهو ما يجعلنا نعتقد بأن الحقيقة لا تنحصر في وجهة نظر واحدة، وإنما لها زوايا متعددة ومختلفة، والنظر إلى مختلف وجهات النظر على أنها اجتهادات إنسانية تقارب الحقيقة. حينذاك يظهر الوجه الايجابي للاختلاف وانه وسيلة للتعايش والسلام أين يحيا الإنسان حرا كريما.

تضارب المصالح

يعلن المؤلف أنه ليس لديه تضارب في المصالح.

قائمة المصادر والمراجع

- احمد محمود صبحي. (1985). في علم الكلام. لبنان: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
- احمد محمود صبحي. (د.تا). نظرية الامامة لدى الشيعة الاثى عشرية. القاهرة: دار المعارف.
- امين احمد. (د.تا). ضحى الاسلام. لبنان: دار الكتاب العربي.
- خميس بن راشد العدوي. (2009). رواية الفرقة الناجية. سلطنة عمان: مكتب الغبيراء.
- رشيد الخيون. (2016). اتجاهات التطرف والغلو في التراث الاسلامي. الاسكندرية.
- عبد الرحمن بدوي. (1997). مذاهب الاسلاميين. بيروت: دار العلم للملايين.
- عبد القاهر البغدادي. (1997). الفرق بين الفرق. لبنان: دار المعرفة.
- لطيفة البكاي. (2001). حركة الخوارج. لبنان: دار الطليعة للطباعة والنشر.
- محمد بن عبد الكريم الشهرستاني. (د.تا). الملل والنحل. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
- محمد بن مكرّم ابن منظور. (د.تا). لسان العرب. بيروت، لبنان: دار صادر.
- محمد سليم العوّا. (2016). المدارس الفكرية الاسلامية. لبنان: الشبكة العربية للابحاث والنشر.
- محمد عابد الجابري. (1998). الكشف عن مناهج الادلة في عقائد الملة. لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.

• محمد عابد الجابري. (2000). المثقفون في الحضارة العربية، محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد. لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.

• محمد علي الكبسي. (2005). نشاة الفكر السياسي عند العرب. دمشق: دار الفكر.

• هالم هاينس. (2011). الشيعة. (محمود كبيبو، المترجمون) بغداد: بيت الوراق للطباعة والنشر والتوزيع.

كيفية الإستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA

المؤلف عبد القادر شارفي (2021)، الفرق الكلامية الإسلامية وظاهرة التطرف الديني، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد13، العدد 01، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر، ص،ص:214-222